التوجيه النحوي للآيات القرآنية في تفسير القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ)

م. د. نوفل إسماعيل صالح

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانية

تاريخ استلام لبحث / ٢٠١٨/٢/١٣ تاريخ قبول البحث / ٢٠١٨/٤/٢

ملخص البحث

يسعى الباحثُ إلى إبراز جهدٍ نحوي متميّزٍ غفل عنه الدارسون للحافظ ابن كثير في تفسيره ، وسبب هذه الغفلة ؛ أنّه – رحمه الله – اشتهر مؤرّخًا ومفسّرًا ومصنّفًا في الحديث الشريف، غير أنّ تفسيره هذا احتوى على مسائل كثيرة لا يتّسعُ المقام هنا لدراستها بمجملها وإنّما سأقتصرُ على دراسة نماذج من تعدد الأوجه الإعرابية لعلها تكشف عن مذهب ابن كثير وتمكنه من الصناعة النحوية، وقد تفتح الباب لمن يريد أن يتصدى لدراسات نحوية أخرى في تفسيره المبارك. والله الموفق

المُقدّمة

الحمدُ لله على جزيل آلائهِ ونعمائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وأوليائه وعلى أهل بيته وصحابته وأتباعه، صلاة وسلامًا متلازمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أمّا بعد ...

فإنّ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير من أجلِّ تفاسير القرآن قدرًا، جمع فيه مؤلفه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وكان يشفع رأيه بالآراء النحوية التي من شأنها تجلية المعنى القرآني المراد، وكانت عنايته بالقراءات القرآنية متميزة منذ تفسير سورة الفاتحة حتى آخر المصحف الشريف.

فهي حجة عنده متواترها وشاذّها، إذ عمد إلى توجيها ودعاها بالفصيح من كلام العرب، ولم يكن بَصْريًا ولا كوفيًا بل كان يميل حيث مال به الدليل، يأخذ من آراء النحاة ما يراه موافقًا للمنقول والمعقول، وقد كثرت مصادره النحوية، فنقل عن الكتاب، وكتب معاني القرآن ، وتفسير الطبري، والكشاف، والجامع لأحكام القرآن وغيرها.

وكان تعامله مع المسائل النحوية منقسمًا على قسمين: قسم عرض فيه الآراء، ورجح رأيًا ما، وفقًا لما تمليه عليه قناعته النحوية أولاً، وما يخدم المعنى للنص الشّريف ثانيًا، آخر اكتفى فيه بذكر آراء النحاة من غير ترجيح لهذا الرأي أو ذاك، وعلى هذا الأساس فقد جاءت دراستي مقسّمة على مبحثين أيضًا :

الأول : الآراء التي رجّحها، والثاني : الآراء التي ذكرها من غير ترجيح.

وأخيرًا أقول إني انتقيت غيضًا من فيض من المسائل النحوية، الهدف منها بيان منهج ابن كثير النحوي في التفسير، وأعرضت عن موضوعات أخرى لا أشك أنّ فيها دراسات نحوية خصبة كعود الضمير، والقراءات القرآنية، والمصطلح النحوي وغيرها.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول : الآراء النحوية التي رجّحها ابن كثير .

إنّ ابن كثير من العلماء المتأخرين، وهؤلاء عُرفوا بمتابعتهم للنحاة الأوائل، وأكثر آرائهم هي اختيارات وترجيح أو موافقات، وقد تكون لبعضهم آراء خالفوا فيها الأوائل، وكان ابن كثير من الذين ينقلون عن المتقدمين مع ترجيحه هذا الرأي أو ذاك معتمدًا على ثقافته النحوية، وكثيرًا ما وجدته يجمع بين ما نُقِل بالمأثور وبين اجتهاداته التي أملتها عليه طبيعة النّص الذي يروم تفسيره، فكانت له آراء واختيارات رجّحها من خلال تفسيره منها :

١. رفع (الحمد) في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة : ١]

كانت عناية ابنِ كثير واضحة بالقراءات القرآنية المتواترة منها والشّاذة، وتبدو هذه العناية بشكل ملفت للنظر من أول تفسيره (سورة الفاتحة) ، فقد ذكر أربعَ قراءات في قوله تعالى: ((الحمدُ لله))، وراح يوجّه كل قراءة منها، فذكر قراءة الرفع ووجّه إعرابها على المبتدأ والخبر، ونسبها إلى القرّاء السّبعة[١]، ثم ذكر قراءة سفيان بن عُيَيْنة ورؤبة بن العجاج بالنَّصِب[٢] ، وتوجيهها عندهُ أنّها نُصبت على إضمار فعلٍ محذوفٍ تقديرهُ اذكر أو أبدأُ أو أحمدُ[٣].

ومَن نصبَ جعل الحمدَ مصدرًا لا اسمًا، يجوز لقائلهِ أن يقول أحمدُ اللهَ، فإذا صَلُحَ (فَعَلَ أو يَفْعَلُ) جاز فيه النّصبُ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد : ٤] يَصلحُ مكانها من مثله من الكلام أن يقولَ، فاضربوا الرقابَ[٤] .

ثم ذكر قراءة ابن أبي عبلة، ووصفها بالشذوذ، وهي: (الحمدُ لُهِ) بضم الدّال واللّام[٥] ، ووجّهها توجيهًا صوتيًا، وهو أنَّ اللّام ضُمَّت اتباعًا لضمة الدال[٦]، ويؤيد الباحثُ ما ذهب إليه ابن كثير في تشذيذ هذه القراءة لثقل النطق بحرفين مضمومين متواليين، ولمخالفتهما وجهًا من وجوه العربية، وذلك أنَّ اللام التي للجر حقّها الكسر إذا اتصلت بالاسم الظاهر، فضلًا عن أنَّ القرَّاء السبعة أجمعوا على كسر اللّام موافقة للذوق العربي السليم[٧].

ثمّ عرّج أخيرًا على قراءة الحسن وزيد بن علي – رضي الله عنهما – بكسر الدّال[٨]، ثم وجّهها توجيهًا صوتيًا أيضًا فذكر أنَّ القارئ كسر الدال اتباعًا لكسرة اللّام[٩] ، كما ذكر الفرّاء وجهًا آخر لكسر الدال إذ قال : ((وأمّا مَن خفضَ الدال من (الحمد) فإنّه قال : هذه كلمة كَثُرت على ألسنِ العربِ حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أنْ يجتمع في اسمٍ واحدٍ من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد، مثل إبِل، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم))[١٠].

ولا يخفى ما في هذه القراءة من شذوذ، إذ لا وجود لعاملٍ يُكسر من أجلهِ دال (الحمد) إلاّ إذا اتبعته (للرحيم) في البسملة، وهذا فيه تكلّف، فضلًا عن الثقل الحاصل في توالي حرفين مكسورين، وهاتان القراءتان اللتان حُملتا على الاتباع الحركي مخالفتان للقياس والاستعمال، إلاّ أنّ ضمَ الحرفين أيسر من كسرهما[١١] .

وبعد ما عرض ابن كثير هذه القراءات الأربعة، رجّح قراءة الرفع وعدّها الأقيس ؛ لإجماع القرّاء السبعة عليها ولموافقتها وجوه العربية وحملها على الأصل، ولم يُجز القراءة بغيرها[١٢] ، وقراءة الرفع هي القراءة التي أطبق النحاة على الاعتداد بها وترجيحها، قال سيبويه : ((وإنّما استحبّوا الرَّفْعَ فيهِ لأنّهُ صار معرفةً وهو خبرٌ فقوِيَ في الابتداءِ، بمنزلةِ عبدُ الله والرجلِ والذي تعلم، لأنَّ الابتداءَ إنّما هو خبرٌ))[١٣] .

وخطّأ الزجاج من قرأها بغير الرفع، إذ قال : ((والاختيار في الكلام الرفعُ، فأمّا القرآن فلا يُقرأُ فيه (الحمدُ) إلاّ بالرفعِ؛ لأنّ السُّنّة تتبع في القرآن، ولا يُلتفتُ فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قد قرأ بها القرّاء المشهورون بالضبط والثقة والرفعُ القراءة ... وقد روي عن قومٍ من العرب (الحمدِ للهِ) و (الحمدَ للهِ)، وهذه لغة من لا يُلتفتُ إليه ولا يتشاغلُ بالرواية عنه، وإنّما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنحذّر الناس من أن يستعملوهُ، أو يظنَّ جاهل أنّه يجوز في كتابِ الله عزّ وجلّ أو في كلامٍ، ولم يأتِ لهذا نظير في كلام العرب ولا وجه له))[١٤].

وذهب القرطبي إلى أنّ من قرأها بالنصبِ متعمدًا وهو عارف بخطئه فإنّه مستحق للعقوبة لأجماع القرّاء وعلماء الأمة على رفع (الحمد) من قوله تعالى (الحمد لله)[١٥] والرفع أجود من جهتي اللفظ والمعنى، فأمّا اللفظ؛ فلأنّه اسم معرفة خبّرت عنه، وأمّا المعنى فأنّك إذا رفعت أخبرت أنّ حمدك وحمد غيرك لله جلّ وعزّ، وإذا نصبت لم يَعدُ حمد نفسك[١٦] .

٢. جر (غير) على النعت في قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة : ٧]

يبدو أنّ الحافظ ابن كثير أدرك من أول تفسيره الصلة الوثيقة بين الإعراب والمعنى، لذلك فإنَّ من أبرز السمات التي تُميّز منهجهُ في التفسير أنّه كان يذكر الأوجه الإعرابية المحتملة للفظة القرآنية المباركة وما يترتب على كل وجهٍ من هذه الأوجه من معانٍ تخدم النّص الشريف، ولا يتردد في ذكر الأحرف التي قرئ بها اللفظ، فقد ذكر أنَّ قراءة الجمهور (غيرِ) بالجر على النعت، ثم عرّج على قراءة النصب[١٧]، ثم راح يذكر مذاهب النحاة في توجيهها، فذكر أنّ منهم من نصبها على الحال وصاحب الحال الضميرُ في (عليهم)، والعامل (أنعمت) والمعنى، إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم، غير المغضوب عليهم[١٨].

ونسب إلى بعض النحاة أنّ (غير) انتصبت هنا على الاستثناء فيكون على هذا منقطعًا؛ لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم[١٩]، والظاهر أنّ ابن كثير يرجح قراءة الجرِّ، بدليل قوله: ((وما أوردناه أولى لقول الشاعر[٢٠] :

كأنّك من جمالِ بني أُقيشٍ يُقَعْقَعُ عِندَ رجليهِ بشنٍّ

أي كأنّك جمل من جمال بني أُقيشٍ، فحذف الموصوف واكتفى بالصفة، وهكذا (غير المغضوب عليهم)، أي : غير صراط المغضوب عليهم واكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دلّ سياق الكلام، وهو قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم)[٢١]، وهذا الذي ذكره من أنّ (غير) مجرورة على النعت، هو مذهب النحاة الأوائل[٢٢]،غير أنّ الفرّاء أجاز أن تكون (غير) نعتًا لمعرفةٍ؛ لأنّها قد أضيفت إلى اسم فيه الف ولام[٢٣] .

وجوّز الأخفش في قراءة الجرِّ وجهين، البدلية والنعت؛ لأنّ (غير) و (مثل) قد تكونان صفة المعرفة التي بالألف واللام ... و (غير) و (مثل) إنّما تكونان صفة للنكرة ... [٢٤] ، ويحتمل في جرِّ (غير) وجه ثالث وهو الجرُّ؛ لتكرار العامل فيها الذي خفض (الذين)، فكأنّك قلت : صراط الذين أنعمت عليهم صراط غير المغضوب عليهم ويتقارب معناها؛ لأنّ الذين أنعمت عليهم هم الذين لم يُغضب عليهم[٢٥] ، ونتج عن هذا الاختلاف في فهمهم لمعنى (غير) خلافًا آخر في فهمم معنى (لا) في قوله تعالى : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : ٧]، إذ أشار ابن كثير إلى هذا الخلاف، فذكر أنّ (غير) نافية و (لا) زائدة مؤكدة للنفي، ليدل على أن ثمة مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى[٢٦]،وهذا المذهب هو الراجح عنده والذي وصفه بالمذهب الصحيح، ثم استدلّ لمذهبه القائل بأنّ (غير) نافية و (لا) زائدة للتوكيد بقول الشاعر*:

كأنّك في جمالِ بني أُقيشٍ يُقَعْقَعُ عِندَ رجليهِ بشنٍّ

أي : كأنّك جمل من جمال بني أُقيشٍ، فحذف الموصوف واكتفى بالصفة، وهكذا (غير المغضوب عليهم): أي غير صراط المغضوب عليهم، اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دلّ عليه سياق الكلام، وهو قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) ثم قال (غير المغضوب عليهم) [٢٧] ، وهذا المذهب الذي رجّحه هو مذهب الفرّاء، الذي ذكر أنّ معنى (غير) كمعنى (لا)؛ لذلك رُدّت عليها(ولا)[٢٨].

والظاهر أنّ ابن كثير يَعُد (لا) نافية وليست زائدة؛ لأنّ الله تعالى نفى على لسان المسلمين حقيقتين فاسدتين وهما: المغضوب عليهم وهم اليهود، والضالين الذين هم النصارى فكان المعنى، اهدنا الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم ليس المغضوب عليهم وليس الضالين، أي هو تكرار للنفي بأداتين عُطفت أحدهما على الأخرى بالواو، فعلى هذا تكون (غير) بمعنى (لا) فكأنَّه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين[٢٩] .

ووهم الفراء وابن كثير وغيرهما في نقلهم عن أبي عبيدة قوله إنَّ (غير) استثنائية والاستثناء فيها منقطع لاستثنائهم من المغضوب عليهم وليسوا منهم، وعدّو هذا المذهب غير جائز؛ لأنّ المعنى وقع على ما لا يتبين فيه عمله، فهو جحد محض، وإنّما يجوز أنْ تكون (لا) صلة إذا اتصلت بجحد قبلها[٣٠]، وهذا الذي نقلوه عن أبي عبيدة غير صحيح فقد نصّ في مجازِهِ على أنّ (غير) نافية و (لا) زائدة لتوكيد النفي قال : ((غير ... مجازها : غير المغضوب عليهم والضالين و(لا) من ظروف الزوائد لتتم الكلام ... ولا الضالين: (لا) تأكيد لأنّه نفي فأدخلت (لا) لتوكيد النفي))[٣١]، ونقل ابن كثير رأيًا ثالثًا في هذه المسألة وهو أنّ(غير) نافية و (لا) زائدة مؤكدة للنفي، وحجته في ذلك قول رؤبة[٣٢]:

في بئرِ لاحورٍ سرى وما شعر

والمعنى عنده غير المغضوب عليهم والضالين، ولم يقبل هذا الرأي وعدّ المذهب الأول هو المذهب الصحيح الذي يتفق مع المعنى الشريف وذلك أنَّ المعنى هو غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق[٣٣] .

٣. تضمين الفعل (خلا) معنى (انصرف) في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة : ١٤]

يأتي هذا الفعل متعديًا إلى مفعوله بـ (من) أو بـ(إلى) أو بـ (اللام) أو بـ (الباء)[٣٤]، وقد يأتي غير متعدٍ نحو : خلا المكان أي تفرغ، ويدخله معنى فارق وجاوز وانفصل، نحو خلوت من المكان، وخلوت المكان، فلمّا لحقته معنى المفارقة والانفصال صار فيه معنى الخروج عن الشيء فضمنوه ذلك[٣٥] .

وقد ورد في الذكر المبارك في تسعةٍ وعشرين موضعًا[٣٦]، بمعانٍ مختلفة، فمثال ما جاء غير متعدٍ قوله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾[البقرة : ١٣٤]، أي تلك أمة قد مضت، وذلك أنّ الخلو يستعمل في الزمان والمكان، لكن لمّا تُصوّر في الزمان المضيّ، فسر أهل اللغة خلا الزمان بقولهم مضى وذهب[٣٧].

ومثال ما تعدى باللام، قوله تعالى : ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ [يوسف : ٩] أي يتفرغ ويصفُ لكم[٣٨]، ومثال ما تعدى بـ (من) قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾[يونس : ١٠٢] أي مضوا[٣٩]، وأكثر ما ورد استعمال هذا الفعل في التنزيل المبارك بمعنى (مضى) مسندًا إلى تاء التأنيث أو إلى واو الجماعة، ولا إشكال في استعمال هذا الفعل على اختلاف معانيه بين النحاة واللغويين في التنزيل المبارك إلاّ في قوله تعالى : ((*وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ*)) كيف تعدّى الفعل هنا بـ (إلى)؟ وما معناها؟ وهل ضمن معنى فعل آخر ؟، هذه التساؤلات تجيب عنها مصادر اللغة والنحو، وقد اختلف فيها النحاة على مذاهب شتّى، فمذهب سيبويه أنّ (إلى) تنتهي لابتداء الغاية، تقول : من كذا إلى كذا ... ويقول الرجلُ : إنّما أنا إليك، أي إنّما أنت غايتي...، فهذا أمر إلى وأصله وإن اتسعت... تقول : قمت إليه، فجعلته منتهاك من مكانك[٤٠].

أمّا ابن كثير فقد نقل مذهبين في معنى هذه الآية، الأول إنّ (خلا) جاءت على معناها (الخلو) و(إلى) بمعنى (مع)، أي من باب نيابة الحروف بعضها عن بعض، والثاني بمعنى (مضوا)[٤١]، وذهب الكوفيون وكثير من البصريين إلى أنّ (إلى) تأتي بمعنى المصاحبة[٤٢]، وجعلوا منه قوله تعالى : ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] أي مع[٤٣]، وقد رجّح ابن كثير أن تكون (خلا) بمعنى (انصرف

)، والمعنى عنده أي انصرفوا وخلصوا إلى شياطينهم فضمّن (خلوا) معنى (انصرفوا)؛ لتعديته بـــ (إلى)، ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به[٤٤]، وهذا الذي رجّحه ابن كثير نقله عن الطبري الذي ذكر أنّ ((بعض نحويّ أهل الكوفة، بأنّه كان يتأوّل أنّ ذلك بمعنى : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا، وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم فيزعم أنّ الجالب لـ (إلى) المعنى الذي دلّ عليه الكلام : من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم، لا قوله (خلوا)، وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع (إلى) غيرها؛ لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها، وهذا القول عندي أولى بالصواب؛ لأنّ لكل حرف من حروف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيرهِ إلا بحجة يجب التسليم لها ولـ (إلى) في كل موضع دخلت من الكلام حكم، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها))[٤٥]

وخلاصة القول أنّ في هذه المسألة ثلاثة مذاهب : مذهب يقول بالتضمين، أي تضمين (خلوا) معنى (انصرفوا)، وآخر يقول إنّ (إلى) لانتهاء الغاية، والثالث يرى أنّ (إلى) بمعنى (مع).

والباحث يذهب إلى أنّ (إلى) هنا لانتهاء الغاية غير أنّه لا يؤيّد أن يُحملَ (خلا) على تضمين معنى (انصرف)؛ لأنّه لو قيل في غير القرآن انصرفوا إلى شياطينهم، لفات معنى الاختفاء والتستر الموجود في الفعل (خلا)، ولظنّ السّامع أو القارئ أنّ انصرافهم إلى هؤلاء المنافقين قد وقع في وضح النّهار ودون مواراة أو خوف من أحدٍ، ولو حصل هذا لانتفت صفة النفاق والخداع عن هؤلاء المنافقين الذين يتبعون في الظاهر المؤمنين ويبطنون في السّر رأيًا آخر مخالفًا لهم، فكان استعمال الفعل (خلا) مع حرف الجر (إلى) هنا للدلالة على هذا المعنى الذي عليه المنافقون ممّا لا يمكن أن يؤديه أي حرف آخر[٤٦] .

٤. صرف (مصرًا) في قوله تعالى : ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [من الآية ٦١ : البقرة]

ذكر سيبويه أنّ العلم المؤنث الثلاثي ساكن الوسط يجوز صرفه وعدم صرفه والصرف أجود[٤٧]، وطبقًا لهذه القاعدة النحوية التي قررها سيبويه فإنّ (مصر) إذا عُني بها البلد المعروف فهي ممنوعة من الصرف، وبه جاء التنزيل في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ...﴾[يوسف : ٢١]، وقوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ.. ﴾ [الزخرف : ٥١]، فمصر في الآيتين منعت من الصرف؛ لأنّ المقصود بها البلد المعروف[٤٨] ، أمّا إذا لم يُعنَ بها بلد ما جاءت نكرة يُقصد بها العموم فأنّها مصروفة لقوله تعالى : ((اهبطوا مصرًا)).

هذا ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره، إذ ذكر أنّها منونة مصروفة مكتوبة بالألف في المصاحف الأئمة العثمانية، وهي قراءة الجمهور بالصرف[٤٩] ، وقد قُرئت غير منونة[٥٠]، والظاهر أنّ ابن كثير لا يجيز هذه القراءة بدليل ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنّ المقصود بها مصر من الأمصار[٥١]، وأيّد كلامه هذا بما نقله عن الطبري من عدم إجازته هذه القراءة؛ لإجماع المصاحف على ذلك[٥٢]، وحجة من قرأها بغير تنوين أنّ المقصود بها (مصر) البلد المعروف والذي عليه المفسّرون والقرّاء وإجماع المصاحف

أنّها منوّنة يقصد بها مصرًا من الأمصار لا البلد المعروف بدليل أنّ الله تعالى جعل أرض الشام لبني إسرائيل مساكن بعد أن أخرجهم من مصر[٥٣].

وقراءة ترك التنوين هي القراءة المفضلة والمحببة عند الفرّاء بدليل قوله : ((فإن شئت جعلت الألف التي في (مصرًا) ألفًا يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنوّن فيها، كما كتبوا (سلاسلا) و (وقواريرا) بالألف[٥٤]، وأكثر القرّاء على ترك الإجراء فيها، وإن شئت جعلت (مصر) غير المصر التي تُعرف، يريد اهبطوا مصرًا من الأمصار، والوجه الاول أحبُّ إليَّ))[٥٥]، ولاشك أنّ قراءة الصرف أقوى حجة من نظيرتها ؛ لإجماع القرّاء السّبعة عليها، ولِما رواه حبر الأمة رضي الله عنه من أنّ المقصود بها أيّ مصر من الامصار، ويشفع لهذه القراءة إجماع المفسرين عليها إذ اجمعوا على أنّها ليس المقصود بها مصر فرعون وإنّما أريد بها العموم. والله أعلم.

المطلب الثاني : الآراء النحوية التي ذكرها من غير ترجيح:

لاشكّ أنّ ترجيح رأي على آخر في النحو القرآني أمر به حاجة إلى تأملٍ وإطالة نظر ولاسيما أنّ النّص الشريف حمّال أوجه، وقد تكون المعاني كلّها مرادة من أجل التوسع في الدلالة القرآنية لذلك فقد وجدتُ كثيرًا من الآراء التي نقلها ابن كثير في تفسير النّص الشريف لا يقطع بترجيح هذا الرأي أو ذاك، وإنّما يَعدُّ هذه الأوجه كلّها جائزة ويفسّر المعنى المراد من هذه الاوجه، وقد وردت مسائل نحوية كثيرة أجاز ابن كثير فيها وجهين أو ثلاثة وقد يزيد من دون أن يحكم بالصحة لمذهب دون آخر كما رأيناه في المطلب الأول ومن هذه المسائل :

١. تقدير المتعلق بـ (باء) البسملة :

اختلف النحويون في معنى (باء) البسملة، فقيل هي للمصاحبة على وجه التبرّك، أو للاستعانة، أي أستعين باسم الله[٥٦]، ورجح الآلوسي أن تكون (الباء) في البسملة للاستعانة، والذي يبدو لي أنّ الاستعانة أولى، بل تكاد أنْ تكون مُتَعينة إذ فيها من الأدب والاستكانة وإظهار العبودية ما ليس في دعوى المصاحبة.

ولا ضير، أن تحمل الباء على معنى المصاحبة، أي إنّها تكون مصاحبة لاسم الله تبارك وتعالى من باب التبرّك والتعظيم لهذا الاسم العظيم أو الاستعانة، وكأنّ الذي يبدأ بأي عملٍ جللٍ لابد أن يستعين باسم الله[٥٧].

وكما اختلفوا في معنى (الباء) اختلفوا أيضًا في متعلقها على قولين نقلهما الحافظ ابن كثير من غير ترجيح، وعدّ كلا الرأيين صحيح وارد في القرآن والعربية، إذ قال : ((ومن هنا ينكشف لك أنّ القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء، في قولك : بسم الله، هل هو اسم أو فعل متقاربان، وكل قد ورد به القرآن، أمّا من قدره باسم تقديره باسم الله ابتدائي فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ﴾[هود : ٤١]، ومن قدّره بالفعل أمرًا[٥٨] وخبرًا نحو : أبدأ باسم الله أو ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق :١]، وكلاهما صحيح، فإنّ الفعل لابُدَّ له من مصدر، فَلَكَ أن تقدر الفعل ومصدره، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قيامًا أو قعودًا، أو أكلاً أو شربًا أو قراءة أو وضوءًا، أو صلاةً، فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركًا وتيمنًا واستعانة على الاتمام والتقبل))[٥٩].

والقائلون بتقدير المتعلق بالباء فعل محذوف، هم الكوفيون، فقد ذكر الطبري أنّ الباء من البسملة مقتضية فعلًا يكون لها جالبًا، ولا فعل معها ظاهر، فأغنت سامع القائل بسم الله معرفته بمرادِ قائله عن اظهار قائل ذلك مراده قولاً[٦٠]، وهذا المذهب اختاره الزمخشري أيضًا، إذ ذكر أنّ الذي يفهم من كلام النحاة أنّ الفعل واجب الحذف، وهذا الحذف الواجب كثير مطرد في كلام العرب، وكل فاعل يبدأ في فعله بـ (بسم الله) كان مضمرًا، ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عزّ وجل : ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ [النحل:١٢] أي: اذهب في تسع آيات، وكذلك قول العرب في الدعاء للمُعرس : بالرفاء والبنين، بمعنى بالرفاء أعرست، وبالبنين انكحت[٦١]، وتقدير العامل ينبغي أن يكون متأخرًا على اسم الله لكنّه تقدّم لكنةٍ بلاغية ذكرها الزمخشري وهي أن : ((الأهم من الفعل والمتعلق به هو التعلّق به؛ لأنّهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم اللات، وباسم العزى، فوجب يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزّ وجل بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل))[٦٢]، ويمكن أن يكون تقدير العامل متأخرًا متأتيًا من حسن الأدب في الحديث مع الذات الإلهية ، إذ من الأولى أن يبدأ باسمهِ تبركًا وتقديسًا قبل كل متعلق آخر، مذكورًا أو محذوفًا، ولاسيما أنّ اسم الله ينبغي أن يذكر في بداية كل عملٍ صَغُرَ أم عَظُمَ، ويمكن أن نقول أنّ العامل إذا تكرّر مع كل عملٍ يقوم به المسلم لأنّ الكلام يثقل ويطول، لذلك فقد حذف العامل اختصارًا وايجازًا، ولاسيما وإنّ الشرع قد ندب في ذكر البسملة في أول كل فعل كالأكل والشرب والنحر وغيرها، وقد ظهر هذا العامل المحذوف في قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق : ١]؛ لأنّ تقديم الفعل أوقع أثرًا في النفس؛ لأنّها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم[٦٣].

وهذا العامل الفعلي الظاهر يدعونا إلى القول مطمئنين بترجيح المذهب القائل بأنّ العامل المحذوف هو الفعل خلافًا لمذهب البصريين القائل بأنّ العامل المحذوف اسمي، وحاصل ما في المسألة التي ذكرها ابن كثير أنّ العلماء اختلفوا في ذلك فذهب عامة البصريين إلى أنّ موضع الباء رفع على هذه متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه تقديره : ابتدائي كائن، أو ثابت أو أشبه ذلك باسم الله[٦٤] ، وذهب عامة

الكوفيين وبعض البصريين إلى أنّ موضع الباء نصب على اضمار فعل، فذهب الجمهور منهم إلى أنّه يضمرُ فعل يشبه الفعل الذي يريد أن يأخذ فيه، كأنّه إذا أراد الكتابة أضمر اكتب[٦٥] .

٢. دلالة (أو) في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[البقرة : ١٩]

ذكر ابن كثير آراء المفسرين في دلالة (أو)في الآية الكريمة، فقد نقل عن القرطبي وجَمْع من المفسرين أنّ هذين المثلين مضروبان لصنفٍ واحدٍ من المنافقين[٦٦]، وأنّ (أو) هنا بمعنى (الواو)، وهذا مذهب الكوفيين[٦٧]، من شواهدهم قول جرير[٦٨] :

أتى الخلافة أو كانت له قدرًا كما أتى ربّه موسى على قدر

وممّن وافق مذهبهم من البصريين، الزجاج[٦٩]، والهرويّ[٧٠]، والمراديّ[٧١]، ومن شواهدهم قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[الإنسان: ٢٤]، والتقدير عندهم، وكفورًا.

ويرى الباحث أنّه لا يمكن حمل (أو) على معنى الواو في الآيتين الكريمتين؛ لأنّ الواو تفيد الجمع بين شيئين على الترتيب أو مطلق الجمع، وأمّا ما احتج به ابن كثير[٧٢]، في الآيتين السابقتين من أنّ (أو) بمعنى الواو لا يتفق مع المعنى العام لهما، إذ لا وجود لمعنى الجمع في النّصين الشريفين، والذي يترجح عندي أنّه خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي لا تطع هذا ولا ذاك، والآثم هو غير الكفور، فكلا الصنفين محرّم طاعتهما فـ (أو) هنا تحمل على أصلها كما ذكر سيبويه[٧٣] – رحمه الله – أي : أريد بهما النهي عن طاعتيهما كليهما على السواء، وكذا المثلان اللذان ضربهما الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة لا يجتمع فيهما معنى الواو، وإنّما هو الجمع بينهما، وقد أنكر ابن هشام الأنصاري هذا المذهب بقوله : ((ومن الغريب أنّ جماعة – منهم ابن مالك – ذكروا مجيء (أو) بمعنى الواو))[٧٤]، ونقل ابن كثير عن القرطبي أنّ (أو) في آية البقرة للتخيير أي اضرب لهم مثلاً بهذا وإنْ شئت بهذا[٧٥]، ونسب إليه أيضًا معنى آخر وهو التساوي[٧٦] ، وهذا ليس بصحيح إذ أنّ القرطبي نصّ على افادتها التخيير، ولعل ابن كثير فهم من قول القرطبي أنّها للتخيير أي أنت مخيّر بين هذا وذاك معنى المساواة. والله أعلم .

ومعنى المساواة وهو أنّ كلاً منهما مساوٍ للآخر في إباحة هذا او ذاك، أو يكون معناها سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم[٧٧]، وقد يقع الخلط بين (أو) التي للتخيير والتي للإباحة، والحقيقة أنّ الفرق بينهما هو أنّ المخاطب يجمع بين شيئين في الإباحة وليس له ذلك في التخيير يفعل أحد الشيئين ويترك الآخر، وإنّ تركهما عُوقِبَ أو ذم وكذا الجمع بينهما[٧٨] ، وتفيد (أو) عند سيبويه الاباحة تقول : ((جالس عمرًا أو خالدًا أو بشرًا، كأنّك قلت : جالس احد هؤلاء ولم ترد إنسانًا بعينه، ففي هذا دليل أنّ كلهم أهل أن يُجالس ، كأنّك قلت : جالس هذا الضرب من الناس))[٧٩]، وأشار إلى معنى التخيير بقوله : ((كُلْ خبزًا أو تمرًا، أي لا تجمعهما))[٨٠]، ويأتي التخيير والاباحة عند سيبويه بلفظٍ واحدٍ أي : ما جاء على

التخيير يمكن أن يُحمل على الاباحة، والذي يتحكم في التمييز بين هذين المعنيين إنّما هو ما يقصده المتحدث في كلامه[٨١]، قال سيبويه : ((تقول ادخل على زيد أو عمرو أو خالد ، أي : لا تدخل على أكثر من واحدٍ من هؤلاء، وإنْ شئت جئت به على معنى ادخل على هذا الضرب من الرجال))[٨٢].

ولست أتّفق مع القائلين بإفادة (أو) هنا التخيير أو الإباحة؛ لأنّ هذين المعنيين يشترط فيهما أن يسبقا بطلب[٨٣]، ولا طلب في الآيتين المباركتين، ولا معنى فيهما للتخيير أو الإباحة ، فهما مثلان ضربهما الله تعالى في وصف حال المنافقين الذين يتخبطون في ظلمات الحيرة، والتردد لا يستقرون على حال من الاحوال.

وقد ذكر الزجاجي أنّ معنى (أو) في الآية هو الإبهام[٨٤]، ويكون ذلك في الخبر، ولا يكون إلاّ في حق السامع دون المتكلم، نحو : زيد قام أو عمرو، والفرق بين الشّك والإبهام هو أنّ الشّك لا يعلمهُ المتكلم، والإبهام يعلمه ويبهم على السّامع لمعنى ما[٨٥].

ويرى الباحث أنّ معنى الإبهام غير متحصل في هذين المثالين، بل هما في غاية الصّراحة والوضوح، إذ أفصح الله تعالى من خلالهما عن حال أولئك المنافقين الذين يخشون الظلمات وأصوات البرق والرعد؛ لأنّهم يحسبون كل صيحة عليهم، والمثال الذي ساقه الزجاجي وهو : زيد قام أو عمرو، أبعد من أن يُمثلَ به لشرح معنى (أو) في الآية المباركة ، والذي نطمئن إليه، أنّ (أو) هاهنا للتفصيل، بمعنى أنّ الناظر في حال هؤلاء منهم يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من شبههم بأصحاب صيّبٍ هذه صفته[٨٦] .

ونظير هذه الآية استدلاله بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[البقرة : ٧٤]، وتتجلى شخصية ابن كثير النحوية بوضوح من خلال التفصيل والعرض والمناقشة والتحليل، فذكر آراء النحاة في معنى (أو) ، وكانت الشّواهد القرآنية الفيصل الذي يحتكم إليه في فهم معنى النّص، فقد نقل خلاف علماء العربية في معنى (أو) في هذه الآية مشيرًا إلى إجماعهم في استحالة أن تكون للشك فنقل عن بعضهم أنّها بمعنى (الواو)[٨٧]، أو أنّها بمعنى (بل)[٨٨]، أو هي للإبهام على المخاطب[٨٩]، أو هي للتخيير[٩٠] .

٣. إعراب (ما بعوضة) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة : ٢٦].

ذكر ابن كثير أنّ (ما) في الآية المباركة للتقليل، وبعوضة منصوبة على البدلية، كقولك لأخرين ضربًا ما، أو تكون نكرة موصوفة ببعوضة[٩١]، ونقل اختيار ابن جرير الطبري، أنّ (ما) موصولة وبعوضة معربة بإعرابها، وهو سائغ في كلام العرب، فهم يعربون صلة (ما و من) بأعرابهما لأنّهما يكونان معرفة تارة ونكرة أخرى[٩٢]، كما قال حسان بن ثابت[٩٣] :

وكفى بنا فضلًا على مَن غيرنا حبُّ النبيِّ محمّدٍ إيّانا

وهو اختيار الكسائي[٩٤]، والفرّاء أيضًا[٩٥] .

وقد اختلف النحاة في إعراب (ما بعوضة) على مذاهب شتّى يطول الحديث عنها هنا، ويترتب على كل وجهٍ من الوجوه معنى خاصًا في فهم الآية، فقد زاد الفرّاء وجهين آخرين في إعرابهما : الأول : أن توقع الضرب على البعوضة وتجعل (ما) صلة، كما في قوله تعالى : ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[المؤمنون : ٤٠]، يريد عن قليلٍ، والمعنى أنّ الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلًا.

والآخر : أنّ المعنى : إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بين بعوضة إلى ما فوقها؛ لأنّ العرب إذا القت (بين) من كلام تصلح (إلى) في آخرهِ نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما بـ (بين) والآخر بـ (إلى) وهذا هو الوجه الراجح عنده والمحبب إليه[٩٦].

والذي رجّحه الزجاج أن تكون (ما) زائدة مؤكدة، والمعنى أنّ الله لا يستحي أن يضرب بعوضة مثلًا، ومثلًا بعوضة، وجوّز أيضًا أن تكون (ما) نكرة والمعنى إنّ الله لا يستحي أن يضرب شيئًا مثلًا، وكأنّ بعوضة في موضع وصف، كأنّه قال : إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلًا شيئًا من الأشياء ، بعوضة فما فوقها، وزعم أنّ هذا الرأي منعقد عليه إجماع البصريين[٩٧].

وسمّاها المالقي الملازمة للكلمة أي هي التي لا تحذف ومثّل لها بقولهم، ضربته ضربًا ما، وأنكر رأي من قال بإسميتها ، وإنّها هنا صفة للتعظيم والتكثير، والمختار عنده أنّها حرف يفيد التوكيد؛ لأنّ تقدير الحرف مكان الاسم لا يخرجه بمجرد التقدير إلى الإسمية.

وهذا النوع من الزيادة اللازمة (لإصلاح اللفظ)، إذ هي زائدة في الأصل على الكلمة، وأفادت فيها معها معنى يزاولها، فهي كالألف واللّام في الذي والتي؛ لأن تلك الأسماء معارف لغيرها، وإنّما لزم اللفظة لإصلاحها[٩٨].

وتوسّع أبو حيّان الأندلسي فذكر سبعة أقوال للنحاة في منها ما نقله عن النحاة السابقين، ومنها ما اجتهد هو في توجيهها، وذكر أنّ (بعوضة)عطف بيان و(مثلاً) مفعول بيضرب، أو أن تكون بدلًا من مثل، أو أن تكون مفعولًا ليضرب، وانتصب (مثلًا) حالًا من النكرة مقدمة عليها، أو أن يكون (يضرب) متعديًا إلى مفعولين الأول (مثلًا) والثاني بعوضة[٩٩] .

وكان ابن كثير مهتما بالقراءات القرآنية، وإن كانت شاذّة فهي حجة عنده، ولم يرد قراءة واحدة وإنّما كان يذكر ما في الآية من قراءات بعدما يفرغ من تفسير الآيات المباركة، ولم يكتفِ بذكر القراءات الشّاذة، وإنّما

يوجهها توجيهًا يتفق مع المعنى العام للآية، ناقلًا هذا التوجيه عن النحاة، ولا يتردد في مواطن كثيرة من إبداء رأيه في الأوجه الإعرابية التي يحتملها النّص، فبعد أن فرغ من بيان الاوجه المحتملة في نصب (بعوضة) عرّج على قراءة شاذة نسبها إلى الضحاك، وإبراهيم بن أبي عبلة ، وهي قراءة (بعوضة) بالرفع[١٠٠]، فنقل توجيه ابن جني للرفع، وهو أن (بعوضة) صلة (ما) وحذف العائد، تقديره (هو) يعود على المثل [١٠١]، وقد احتجّ ابن كثير في تأييد هذه القراءة بقراءة شاذة أيضًا وهي قوله تعالى : ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] بالرفع[١٠٢]، والظاهر أنّ منهج ابن كثير صريح في الاستدلال بالقراءات الشاذة، متابعًا بذلك موقف نحاتنا الاوائل – رحمهم الله – من هذه القراءات، إذ احتجّ سيبويه بهذه القراءة بعد ما ذكر الاوجه الإعرابية لـ (ما) في قول النابغة [١٠٣]:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حَمامتنا ونصفه فقدِ

فذكر أنّ (ما) في أحد الوجهين اسمًا موصولًا وصدر الصلة محذوف تقديره (هو)، والتقدير : ألا ليت الذي هو هذا الحمام لنا . وهذا الوجه له نظير في الآية الكريمة؛ لأنّ (ما) اسم موصول و(بعوضة) بالرفع خبر لمبتدأ محذوف وهو صدر الصلة، والتقدير : مثلًا الذي هو بعوضة[١٠٤] ، فضلًا عن ذلك فقد كان ابن كثير مؤيدًا لهذه القراءات بالقراءات القرآنية وكلام العرب المسموع، إذ أيّد صحة هذه القراءة بما نقله عن سيبويه عن بعض العرب قولهم ((ما أنا بالذي قائل لك شيئًا، أي يعني بالذي هو قائل لك شيئًا))[١٠٥]، إنّ قراءة الرفع في (بعوضة) تقتضي أن تكون (ما) اسمًا موصولًا، وهذا يقتضي أن يكون هناك عائد يعود على (ما)، وقد اختلف النحاة في حذف العائد، فهو ممتنع وضعيف عند البصريين، إذا كان الموصول (ما) وجائز إذا كان الموصول (الذي)[١٠٦]، أمّا الكوفيون فعندهم جائز في كل ذلك[١٠٧] .

واتّفق المعربون لهذه القراءة على أنّه خبر ، ولكن اختلفوا فيما يكون عنه خبرًا، فقيل مبتدأ محذوف تقديره هو بعوضة، وفيه وجهان : أحدهما : أنّ هذه الجملة صلة لـ (ما) و (ما) موصولة بمعنى الذي وحذفوا هذا العائد، والثاني : أن تكون (ما) زائدة أو صفة، وهو بعوضة وما بعدها جملة كالتفسير لما انطوى عليه الكلام السابق، وقيل خبر مبتدأ محذوف وهو (ما) على أن تكون (ما) استفهامية[١٠٨] .

٤. دلالة (أم) في قوله تعالى : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[البقرة : ١٠٨]

ذكر ابن كثير بإيجاز احتمالين لـ (أم)، الأول : أن تكون بمعنى (بل)، أي بل تريدون، والثاني : أنّها على بابها في الاستفهام وعنده أنّ هذا الاستفهام إنكاري[١٠٩] .

اختلف النحويون في (أم) المنقطعة هذه، فذهب البصريون إلى أنّها تقدر بـ (بل) والهمزة مطلقًا[١١٠]، في حين ذهب الكسائي وهشام إلى أنّها بمنزلة (بل) ، وما بعدها مثل ما قبلها، فإذا قلت : قام زيد أم قام عمرو، فالمعنى بل قام عمرو، وإذا قلت : هل قام زيد أم هل قام عمرو، فالمعنى بل هل قام عمرو[١١١].

وذهب الفرّاء إلى أنّها تكون عطفًا على الاستفهام على جهتين، أحدهما : أن تفرّقَ معنى (أي) والأخرى أن يستفهم بها فتكون على جهة النسق[١١٢]، وذهب بعض الكوفيين إلى أنّها تكون بمعنى (بل) فقط بعد الاستفهام والخبر[١١٣]، وذهب ابن مالك إلى أنّ الأكثر فيها أن تدل على الاضراب مع الاستفهام، وقد تدل على الاضراب فقط، ولكونها قد تخلوا من الاستفهام دخلت على أدوات الاستفهام[١١٤]، والذي نميل إليه في معنى (أم) في الآية الكريمة هو ما ذكره الفرّاء من أنّ (أم) إن شئت جعلتها غير مسبوقة باستفهام كما في قوله تعالى : ﴿ الم تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾[السجدة:٣] ، وإن شئت قلت أنّ قبله استفهام فعطف عليه [١١٥]، وهو قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة : ١٠٧].

٥. انتصاب (صبغة الله) في قوله تعالى : ﴿*صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً* ﴾ [البقرة : ١٣٨].

ذكر ابن كثير ثلاثة أوجه في نصب (صبغة) من غير أن يرجح واحدًا منها، الأول : النصب على الإغراء، شبهه بقوله تعالى : ﴿فطرت الله﴾ [الروم : ٣٠]، أي الزموا صبغة الله والزموا فطرت الله، ويكون العامل محذوفًا وجوبًا مقدرًا بـ (الزموا) أو أشباهها[١١٦].

الثاني : النصب على البدلية من قوله تعالى : ﴿ بل ملّة إبراهيم حنيفًا﴾ [البقرة : ١٣٥] ، وهي بدل كل من كل ؛ لأنّ ملة إبراهيم عليه السلام هي فطرت التوحيد السليمة[١١٧] .

والثالث : نقله عن سيبويه وهو مصدر مؤكد انتصب عن قوله تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة : ١٣٦]، ومثله قوله تعالى ((وعد الله)) من قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يونس : ٥٥]، فتكون (صبغة) على هذا التقدير مصدر منتصب لعاملٍ محذوف وجوبًا[١١٨].

وزاد أبو البقاء وجهًا رابعًا وهو النصب على المفعولية، وهو منصوب بفعل محذوف، أي اتبعوا دين الله[١١٩]، ثم عرّج ابن كثير على قراءة الرفع[١٢٠] ، من غير أن يوجهها، وهذه القراءة أشار إليها سيبويه، وجعل الرفع فيها على الخبرية لمبتدأ محذوف تقديره هي، إذ قال : ((وقد يجوز الرفع ... على أن يضمر شيئًا هو المظهر، كأنّك قلت : ذاك وعد الله، وصبغة الله أو هو دعوة الله))[١٢١].

الخاتمة

بعد هذا التطواف السّريع في خضمّ تفسير ابن كثير توصل البحث إلى عدّة نتائج منها :

١. اشتمل تفسير ابن كثير على مباحث نحوية جديرة بالدراسة، إذ تحدّث عن مسائل نحوية تخص المفردة والجملة والدلالة، فاشتمل تفسيره على موضوعات كثيرة، كعَوْد الضمير والترجيح النحوي والتوجيه لمسائل كثيرة فضلًا عن عنايته بالدلالة النحوية لاسيما تلك المتعلقة بالقراءات، وقد غفل الدراسون عن الخوض في الدراسات النحوية عند هذا العالم الجليل لعدم شهرته في ذلك، ولا نبالغ إذ قلنا أنّ غنى المادة النحوية فيه يؤهلها أن تنهض برسالة علمية لاسيما أنّه من المتأخرين ، وهؤلاء عُرفوا بغزارة الجمع والتحليل والترجيح بين الآراء فضلًا عمّا تمليه عليهم شخصيتهم العلمية وثقافتهم اللغوية.

٢. ظهرت عنايته بالقراءات الشاذة والمتواترة من أول تفسير سورة (الحمد) واعتمد منهجه على تفضيل القراءة المتواترة أولًا، ثم ذكر الشاذة وبيان الأوجه النحوية في توجيهها معضّدًا كل ذلك بما يُحفظ من سماع أو ما يراه موافقًا لها من وجوه القياس .

٣. توصّل البحث إلى أنّ منهج ابن كثير في الاستدلال النحوي أنّه حينما يذكر الحكم النحوي للآية التي هو بصدد تفسيرها، يورد ما يناظرها من آيات للاستدلال على صحة المذهب الذي ذهب إليه، وهو ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن وهو أشرف مراتب التفسير.

٤. توصّل البحث إلى أنّ ابن كثير كانت له عناية فائقة بالدلالة النحوية، فكان كثيرًا ما يوظّف الإعراب في تجلية المعاني، فيذكر المعنى الذي يؤول إليه كل وجه من الأوجه الإعرابية.

٥. توصل البحث إلى أنّ ابن كثير لم ينتمِ إلى مذهب نحوي، وإنّما يميل حيث مال به الدليل لذلك وجدناه ينقل عن البصريين كسيبويه والزمخشري وتارة ينقل عن الكوفيين كالكسائي والأخفش والطبري.

٦. تنوع منهج ابن كثير في المسائل النحوية فتجده تارة يذكر آراء النحاة ويرجح أحدها ويقويه ويعضدّه بالسماع أو القياس، ويقدره تارة أخرى يكتفي بذكر آراء النحاة من دون ترجيح، وأكثر ما يلفت النظر في تفسيره أنّه لم يكن ميّالًا في ذكر التفاصيل فيما يتعلق بالمسائل الخلافية، ولم يتعرّض إلى حجج النحويين أو الخوض في الاحكام الجدلية وإنّما يذكر الوجه الإعرابي بأيسر سبيل .

٧. كشف البحث عن أنّ ابن كثير يوفق بين التفسير بالرأي وما نقل بالمأثور، فكان في بعض الأحيان يرجح رأيًا نحويًا ما ثم يؤيد صحته بما نقل عن الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) إثباتًا منه لصحة المعنى.

٨. لا شكّ أنّ للحرف وظيفة أساسية في تبيان المعنى، ومن هذا المنطلق عُني ابن كثير بدلالات حروف المعاني فقد عوّل عليها في فهم الدلالة القرآنية وهو من القائلين بالتضمين والنيابة .

الإحالات :

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٤/١، وهذا هو مذهب البصريين ومذهب الكسائي أنّ (الحمد) رُفع بالضمير الذي في الصفة، والصفة واللامُ، وجعل الفرّاء (الحمد) رفعًا بالمحل، وهو اللام : ينظر : معاني القرآن للكسائي : ٥٩، ومعاني القرآن للفرّاء : ٣/١، وإعراب القرآن للنحاس : ٩٣، والإنصاف : مسألة (٥ ، ٦).

(٢) ينظر المحتسب : ٣٧/١ – ٣٨.

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه :٥١/١.

(٤) ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٣/١ .

(٥) ينظر : القراءات الشاذة :٩.

(٦) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٤/١، والتبيان في إعراب القرآن :٥/١.
،اتحاف فضلاء البشر : ١٢٢.

(٧) ينظر : معاني القرآن واعرابه :٥١/١ .

(٨) ينظر : الكشاف : ٥٣/١، ومجمع البيان :٥٦/١ .

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم :٣٤/١، ومفاتيح الأغاني :٩٤ – ٩٥ .

(١٠) معاني القرآن : ٣/١ – ٤ .

(١١) ينظر : المحتسب :٣٨/١.

(١٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٣٤/١، والتبيان في تفسير القرآن : ١٠٩/١، ومجمع البيان :٥٦/١-٥٧

(١٣) الكتاب :٣٢٨/١ .

(١٤) معاني القرآن واعرابه :٥١/١ .

(١٥) ينظر : جامع البيان :١٣٩/١ .

(١٦) ينظر : اعراب القرآن للنحاس :٩٣، والبحر المحيط :١٣١/١، والدر المصون : ٦٥/١.

(١٧) وهي قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينظر : السبعة : ١١١
، ١١٢ ، والتبيان في تفسير القرآن : ١/ ١٢٢، ومجمع البيان : ٦٣/١ .

(١٨) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٤/١، هذا مذهب الفرّاء، وانتصبت (غير) عنده على القطع من الضمير
المجرور في عليهم، والنصب بتقدير عاملٍ محذوف : ينظر : معاني القرآن : ٧/١.

(١٩) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٤/١، ومعاني القرآن للأخفش : ١٨/١ ، والموضح في وجوه القراءات
:١٥٥ ، والمُجيد في إعراب القرآن المجيد :٥٩.

(٢٠) البيت للنابغة الذبياني : ينظر : ديوانه :١٩٨، وهو من شواهد سيبويه ينظر : الكتاب : ٣٤٥/٢، والظاهر
أنّ ابن كثير ذهب مذهب سيبويه في جواز حذف الموصوف في هذا الشاهد وقاس عليه الآية الكريمة :
ينظر: المقتضب :١٣٨/٢ .

(٢١) تفسير القرآن العظيم :٤٢/١

(٢٢) ينظر : الكتاب :٣٣٢/٢ -٣٣٣، والاصول في النحو : ٧٧/٢ ، وشرح اللمع :٢٤٠ .

(٢٣) ينظر : معاني القرآن ٧/١.

(٢٤) ينظر : معاني القرآن :١٧ – ١٨ .

(٢٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٢٢/١ .

(٢٦) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٤٢/١ ، والمجيد في اعراب القرآن المجيد :٦١.
*سبق تخريج البيت آنفًا، في الإحالة رقم ٢٠
(٢٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤٢/١، والتبيان في تفسير القرآن : ١٢٣/١ .
(٢٨) ينظر : معاني القرآن : ٧/١ .
(٢٩) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٢٣/١ .
(٣٠) ينظر : ومعاني القرآن للفرّاء : ٨/١، ومعاني القرآن للأخفش : ١٨/١ ، ولسان العرب : غير : ٧٠٧/٦
، تفسير القرآن العظيم : ٤٣/١ .
(٣١) مجاز القرآن : ٢٥/١ – ٢٦ .
(٣٢) ديوانه : ١٦ .

(٣٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤٢/١ ، وجامع البيان : ١٨٩/١ -١٩١ .
(٣٤) ينظر : معاني الحروف : ١١٩، والمفردات : ١٥٨، وعمدة الحفاظ : ٦١٣/١ .
(٣٥) ينظر : التذييل والتكميل : ٣١١/٨.
(٣٦) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن :٣٠١ .
(٣٧) ينظر : عمدة الحفاظ : ٦١٣/١ .
(٣٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١١٤/٩ .
(٣٩) ينظر : الكشاف : ٣١٢/٢ .
(٤٠) الكتاب : ٢٣١/٤ .
(٤١) ينظر : تفسير القرآن العظيم: ٦٨/١ .
(٤٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢١٨/١، ومعاني القرآن للأخفش : ٥١/١، والجنى الداني :٣٨٦، والمساعد
: ٢٥٤/٢، وارتشاف الضرب : ١٧٣/٤ .
(٤٣) ينظر : معاني القرآن : ٥١/١ ، والتبيان في تفسير القرآن : ١٥٥/١، والبرهان في علوم القرآن :
٣٣٩/٣.
(٤٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١/ ٦٧ -٦٨، وينظر : مجمع البيان : ١٠٧/١.
(٤٥) جامع البيان : ٢٩٩/١ .
(٤٦) ينظر : دور الحرف في أداء معنى الجملة : ٣٣٢ -٣٣٣ .
(٤٧) ينظر : الكتاب : ٢٤٢/٣، والمقتضب : ٣٥٢/٣ .
(٤٨) ينظر : المقتضب : ٣٥١/٣ .
(٤٩) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٢٤/١ ، والدر المصون :٢٤١/١ .
(٥٠) وهي قراءة الحسن، وطلحة، والاعمش وغيرهم : ينظر : القراءات الشاذة : ٢٠، والبحر المحيط :
٢٣٤/١.
(٥١) ينظر : تفسير القرآن العظيم :١/ ٢٣٨ .
(٥٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم :١٢٤/١ ، وجامع البيان :١٣٥/٢ -١٣٦، ومجمع البيان : ٢٣٨/١
(٥٣) ينظر : جامع البيان : ١٣٤/٢، واعراب القرآن للنحاس : ١٢٥.
(٥٤) وهي قراءة ابن كثير : ينظر : الحجة في القراءات السبع : ٣٤٨/٦.
(٥٥) معاني القرآن : ٤٣/١ .
(٥٦) ينظر : البحر المحيط : ١٢٣/١.
(٥٧) ينظر : روح المعاني : ٤٧/١، والدر المصون : ٥٠/١.
(٥٨) وهذا رأي الزجاج : ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٤٥/١ .

(٥٩) تفسير القرآن العظيم : ٣٠/١، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٣٦/١ .
(٦٠) ينظر : جامع البيان : ١١٤/١، ومشكل إعراب القرآن : ١٠٤/١، والنكت : ١٠٤ .
(٦١) ينظر : الكشاف : ٤٦/١ .
(٦٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٦٣) ينظر : الفتح القدير : ١٥/١.
(٦٤) ينظر : اعراب القرآن للنحاس : ١٦٦، ومشكل إعراب القرآن : ٦٦/١، والتبيان في إعراب القرآن :٣/١.
(٦٥) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٥١/١، والنكت في القرآن : ١٠٤ .والتبيان في تفسير القرآن :١٠٤/١.
(٦٦) المثلان اللذان قصدهما هما قوله تعالى : ((مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا. فلما أضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. صمٌّ بكم عم فهم لا يرجعون)) البقرة [١٧-١٨]
ينظر: تفسير
القرآن العظيم : ٧٠/١ .
(٦٧) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٦٧/١، وجامع البيان : ٢٦٠/١، وقد نسبه القرطبي إلى الفرّاء وليس
في معانيه، والبحر المحيط : ٢١٨/١.
(٦٨) ديوانه :٢٧٥.
(٦٩) ينظر : معاني القرآن واعرابه : ٩٢/١ .
(٧٠) ينظر : الأزهيّة : ١١٨
(٧١) ينظر : شرح الألفية لابن مالك : ٦٠٨/١ .
(٧٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٧٤/١.
(٧٣) ينظر : الكتاب : ١٨٢/٣ .
(٧٤) مغني اللبيب : ٩٠/١، واشترط ابن مالك لمجيء (أو) بمعنى الواو أمن اللبس، واحتج لها ببضعة أبيات
من الشعر : ينظر : شرح الكافية الشافية : ٥٤٧/١ -٥٤٨ .
(٧٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٧٤/١، والجامع لأحكام القرآن : ٢٦٠/١.
(٧٦) ينظر : تفسير القرآن العظيم:٧٤/١،و التبيان في تفسير القرآن:٣٧٢/١ -٣٧٣ .
(٧٧) ينظر : الكشاف : ١١٥/١ ، ومجمع البيان : ٢٦٦/١، وتفسير القرآن العظيم : ٧٤/١.
(٧٨) ينظر : رصف المباني :٢١٠، وجواهر الأدب :٢١٣ -٢١٤.
(٧٩) الكتاب : ١٨٤/٣.
(٨٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٨١) ينظر : التوابع في كتاب سيبويه :٦٩.
(٨٢) الكتاب :١٨٤/٣ .
(٨٣) ينظر : مغني اللبيب : ٨٧/١، ومجيب الندا :٦٢٨
(٨٤) ينظر : حروف المعاني :١٣، مجمع البيان : ٢٦٦/١.
(٨٥) ينظر : رصف المباني : ٢١١.
(٨٦) ينظر : الدّر المصون :١٣٥/١.
(٨٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم :١٣٨/١، وجامع البيان :٢٣٦/٢.
(٨٨) ينظر : حروف المعاني :٦٣، والتبيان في تفسير القرآن :٣٧٣/١.
(٨٩) ينظر : التبيان في تفسير القرآن :٣٧٣/١، والكشاف:١٨٣/١،والبحر المحيط:٤٢٨/١،ومجمع البيان :
١/ ٢٦٦ .

(٩٠) ينظر : التبيان في تفسير القرآن :٣٧٢/١، والجامع لأحكام القرآن :٥٠١/١، والدر المصون :٢٦٣/١.
(٩١) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٨٣/١ .
(٩٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها ، ومعاني القرآن للفراء :٢١/١، وجامع البيان : ٤٠٤/١
(٩٣) نسبه سيبويه إليه، ينظر : الكتاب : ١٠٥/٢، وليس في ديوانه.
(٩٤) ينظر : معاني القرآن: ٦٥.
(٩٥) ينظر : معاني القرآن :٢١/١ – ٢٢ .
(٩٦) ينظر : معاني القرآن :٢٢/١، ومعاني القرآن للأخفش :٥٣/١، ومعاني الحروف :٩٧.
(٩٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه :٩٧/١ -٩٨ ، ومشكل إعراب القرآن :١٢٢/١-١٢٣.
(٩٨) ينظر : رصف المباني : ٣٨٣ .
(٩٩) ينظر : البحر المحيط : ٢٦٦/١، والدر المصون : ١٦٣/١.
(١٠٠) ينظر : البحر المحيط : ٢٦٧/١.
(١٠١) ينظر : المحتسب :٦٤/١.
(١٠٢) ينظر : مجمع البيان : ٣٨٥/٢، التبيان في اعراب القرآن : ١/ ١٥٤ .
(١٠٣) ديوانه :٢٤ .
(١٠٤) ينظر : الكتاب : ١٣٧/٢ – ١٣٨، والشواهد القرآنية في كتاب سيبويه :١٠٤، ومنهج سيبويه في
الاستشهاد بالقرآن الكريم : ١١٧ – ١٢٨ .
(١٠٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم :١٣٨/١، والكتاب : ٤٠٤/٢.
(١٠٦) ينظر : التعليقة : ٢٧٠/١ -٢٧٣ ، وشرح التصريح :٤٠٤/١ .
(١٠٧) ينظر : شرح ابن عقيل :١٦٥/١.
(١٠٨) ينظر : البحر المحيط :٢٦٧/١.
(١٠٩) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٨٠/١ .
(١١٠) ينظر : الكتاب :١٧٢/٣، وإعراب القرآن للنحاس :١٣٧، والجنى الداني :٢٠٦.
(١١١) ينظر : تمهيد القواعد :٣٤٦٤/٧ .
(١١٢) ينظر : معاني القرآن : ٧١/١.
(١١٣) جامع البيان :٤٩٢/٢ ، والأزهية : ٣٦ .
(١١٤) ينظر : شرح التسهيل : ٣٦٨/٣ – ٣٧٠ .
(١١٥) ينظر : معاني القرآن :٧١/١.
(١١٦) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٢٢٠/١، وهذا مذهب سيبويه : ينظر : الكتاب :٣٨٣/١، وضعفه أبو
حيان لأنّه ينافر آخر الآية وهو قوله تعالى : ((ونحن له عابدون))، ينظر : البحر المحيط :٥٨٤/١
(١١٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٢٢٠/١، وهذا مذهب الأخفش : ينظر :معاني القرآن :١٥٠/١، وهو
الراجح عند النحاس : ينظر : إعراب القرآن :١٤٣، وضعّف هذا الوجه السمين الحلبي ؛ لوقوع الفصل
بينهما بجمل كثيرة: ينظر : الدر المصون :٣٨٨/١
(١١٨) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٢٢/١، والكتاب :٣٨٣/١ .
(١١٩) ينظر التبيان : ١٢٢/١.
(١٢٠) وهي قراءة الأعرج وابنه أبي عبلة: ينظر : جامع البيان :١٠١/٢ .
(١٢١) الكتاب : ١/ ٣٨٢ .

المصادر :

القرآن الكريم .

- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : البناء، أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطي (ت ١١١٧هـ) طبعه ونشره، عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة – د.ت، د.ط .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق : د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي القاهرة – ط١ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
- الأزهيّة في علم الحروف، الهروي، علي بن محمد النحوي (ت٣٧٠هـ) تحقيق، عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، د.ط.١٣٩١هـ - ١٩٧١ م.
- الأصول في النحو : ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي (ت ٣١٦هـ) تحقيق، د. عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة بيروت. د.ط. ١٩٩٤ .
- اعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق، د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت ط٢، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ)، تحقيق، د. جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ،٢٠٠٢م .
- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧ م.
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٢٩ هـ .
- التبيان في إعراب القرآن العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، تحقيق، محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، لا. ط .
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت٤٦٠هـ)تحقيق، أحمد حبيب قيصر العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) مؤسسة الريان، بيروت – لبنان – ط٤ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تحقيق، د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق،ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.
- التصريح على التوضيح، الأزهري، خالد بن عبد الله، تحقيق أحمد السيد، الدار التوقيفية للتراث، القاهرة، لا، ط ، د. ت .
- التعليقة على كتاب سيبويه، الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار،(ت٣٧٧هـ)، تحقيق، د. عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.

- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد(ت ٧٧٨هـ) تحقيق ، د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط١ ، ١٤٢٨هـ .
- التوابع في كتاب سيبويه، د. عدنان محمد سلمان، مطابع التعليم العالي – الموصل، لا،ط .١٩٩١ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ)، تحقيق ،د. محمود محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة – لا،ط.٢٠٠٨م .
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ، لا،ط ،١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، حسن بن قاسم، (ت٧٤٩هـ) ، تحقيق ، د. طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، لا. ط ، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦ م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، معجم في إعراب الحروف العربية، تأليف، علاء الدين بن علي الأربلي، صنعه، د. أميل بديع يعقوب، دار النفائس، دمشق، ط٢، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م.
- الحجة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، أبو علي الفارسي، تحقق، بدر الدين قهوجي وبشير جوبياجي، دار المأمون للتراث ط١٤١٩،١هـ - ١٩٩٩م.
- حروف المعاني، الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٤٠هـ) تحقيق : د. علي توفيق الحمد، دار الأمل الأردن – ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم ، (ت ٧٥٧هـ) تحقيق، الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- دور الحرف في أداء معنى الجملة ، الصادق خليفة راشد، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، لا.ط،١٩٩٦م.
- ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق، د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، لا،ط، ١٩٦٧ م.
- ديوان رؤبة بن العجاج، رواية الأصمعي، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق، بيروت، لا، ط،١٩٧١م.
- ديوان النابغة الذبياني: (صنعه ابن السكيت) : تحقيق : د. شكري فيصل ، بيروت ١٩٦٨ .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، أحمد بن عبد النور(ت٧٠٢هـ) تحقيق : د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ، ط٣، ١٤٢٣هـ ،٢٠٠٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء الآلوسي، تحقيق ، محمد أحمد الأسد وعمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١هـ .

- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن عباس (ت٣٢٤هـ)، تحقيق ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر لا.ت.د.ت.
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت٧٦٩هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ط١٤، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.
- شرح الفية ابن مالك ، المرادي، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- شرح التسهيل، لابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبدالله الطائي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق : د. عبد الرحمن السّيد و د. محمد بدوي مختون، دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق : علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ ، ٢٠١٠م.
- شرح اللمع ، ابن جني، ابو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) املاء :عمر بن إبراهيم الزيدي (ت٥٣٩هـ) تحقيق : محمود بن محمد الموصلي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي – الإمارات، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه ، عرض وتوجيه وتوثيق د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب ، القاهرة، لا، ط، د. ت.
- عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، السمين الحلبي، تحقيق، د. محمد التنوخي، عالم الكتب، بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- الفتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، اعتنى به يوسف غواش ، دار المعرفة – بيروت ، ط٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- القراءات الشاذة، ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان (ت٣٧٠هـ) تحقيق، محمد عيد الشعباني، دار الصحابة للتراث، ط١ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- الكتاب : سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة الخانجي، القاهرة ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٣٧هـ ، ٢٠١٦م.
- لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)، دار الحديث القاهرة، لا، ط ،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) تحقيق : فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، لا، ط، د. ت .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ، أبو علي الفضل الحسن تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

- مجيب الندا إلى شرح قطر الندى، الفاكهي، جمال الدين عبد الله بن أحمد بن علي(ت ٩٧٢ هـ) تحقيق : د. إبراهيم جميل حمد إبراهيم ، دار صادر ، مكتبة المتنبي – جدة السعودية ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- المجيد في إعراب القرآن المجيد، السفاقسي، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (٧٤٢ هـ) تحقيق : د. حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، السعودية ، ط١ ، ١٤٣٠م.
- المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني، تحقيق : علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- المساعد على تسهيل الفوائد على كتاب التسهيل لابن مالك، ابن عقيل ، تحقيق ، د. محمد كامل بركات، دار الفكر ، دمشق ، ط١، ١٤٠٢ – ١٩٨٢م.
- مشكل إعراب القرآن، القيسي، مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) تحقيق : د. حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق ، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- معاني الحروف، الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤ هـ) تحقيق: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار الهلال - بيروت ، دار الشروق – جدة ، لا. ط ،١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
- معاني القرآن للأخفش ، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) تحقيق: د. فائز فارس ، دار البشير ، ط٣، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- معاني القرآن، للفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار السرور، لا.ط.د.ت.
- معاني القرآن ، الكسائي ، علي بن حمزة (ت١٨٩هـ) تقديم د. عيسى شحاتة عيسى، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة د.ط، ١٩٩٨م.
- معاني القرآن واعرابه للزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ) ، تحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث القاهرة ، لا. ط. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، لا.ط ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري ، (ت ٧٦١هـ) تحقيق مازم المبارك ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران ، لا.ط، د. ت.
- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، الكرماني، أبو العلاء (ت٥٦٣ هـ) تحقيق ، د. عبد الكريم مصطفى ، دار بن حزم ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي، المطبعة البهية المصرية بالقاهرة، ط١، ١٣٥٧هـ -١٩٣٨م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٤٢٥هـ) دار المعرفة بيروت، ط١ ، د. ت .
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (ت٢٨٥هـ) تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت. لا.ط. ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

- منهج سيبويه في الاستشهاد في القرآن الكريم، د. سليمان يوسف خاطر، مكتبة الرشيد، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها، الشيرازي، أبو عبد الله نصر بن علي بن محمد (٥٦٥هـ) تحقيق : الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٩م.
- النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم واعرابه، المجاشعي، أبو الحسن علي فضّال ، (ت٤٧٩هـ) تحقيق : د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧.

Abstract

The researcher seeks to highlight a distinct grammatical effort that was overlooked by the scholars of al-Haafiz Ibn Katheer in his interpretation. The reason for this negligence is that he was the best known historian, interpreter and classifier in the hadeeth of the hadith. However, this interpretation contains many issues that can not be studied here. The study of models of multi-faceted aspects may reveal the doctrine of Ibn Katheer and enable him from the grammatical industry, and may open the door for those who want to address other grammatical studies in the interpretation of the blessed.

God bless